ظاهرة الاستشراق في الأدب العربي

دوافـــع...وآثـــار

مريم فرحان نافع مطلق العنزي

الملخص العربي

يتناول البحث ظاهرة الاستشراق ودوافعها وفلسفتها، والآثار التي ترتبت عليها لاسيما في الأدب العربي.

وقد حاول هذا البحث أن يتناول الاستشراق، من زوايا معينة، بهدف الكشف عن ظاهرة الاستشراق وعلاقتها بالأدب العربي على وجه الخصوص دون العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي كانت محط اهتمام وعمل المستشراقين على ختلاف جنسياتهم ومشاربهم .

والمحاور التي يتناولها البحث كما يلي :

- الاستشراق ...أسباب ودوافع.
- الدرس اللغوي والدرس الأدبي في منظور المستشرقين .
- لماذا الأدب العربي في التوجه الاستشراقي.
- الاستشراق والأدب العربي المعاصر بين التقلص والانتقائية .
- الاستشراق وأثره على الأدب العربي.

ثم النتائج والتوصيات والخاتمة ...وفي النهاية مصادر البحث ومراجعه

ومما توصل إليه البحث النتائج التالية :

١- توجه الدرس الاستشراقي نحو الدراسات اللغوية العربية، لعدة دوافع ،تفاوتت في قوتها، وما تحققه من مصالح ،لكن كان أهمها الدافع العلمي الثقافي.

٢- خلف الاتجاه الاستشراقي آثارا سلبية وأخرى إيجابية على علوم الحضارة الإسلامية عامة، وعلى الدراسات اللغوية والأدبية العربية بصفة خاصة.

٣- نال الدرس الأدبي العربي على وجه الخصوص اهتمام المستشرقين ؛ لأنه أهم العوامل لفهم العقلية العربية، وإعطاء صورة للحياة العربية والإسلامية بكل أبعادها .

٤- استطاع الاستشراق أن يجني من تراثنا يانع الثمار، لم نستطع نحن أن نقاربه فيه، كما أنه ترك لنا آثارًا سيئة على ذلك التراث.

٥- تقلص العمل الاستشراقي في الأدب الحديث لعدة عوامل، واتسمت أعماله الجديدة بالانتقائية، والبعد عن عما تقتضيه الحقيقة العلمية .

٦- ترك الاستشراق من العرب أبناء، يفكرون بعقله، وينتهجون منهجه، ويحتذون أثره، فكان ذلك سببا في غياب النظر الموضوعي في تقييم إنتاجه.

وفي النهاية يقدم البحث بعض التوصيات، والتي من أهمها ما يلي :

التوصيات :

- بات من الضروري التقصي والاطلاع على الرصيد الاستشراقي بالدراسة والتحليل والتتبع للاستفادة من تلك التجربة خصوصا في الدرس الأدبي .

- أصبح من الواجب علينا معالجة سلبيات الاستشراق، وترميم الرصيد الحضاري العربي مما أصابه من خلخلة على أيدي المستشرقين، وتوضيح القضايا التي أحدثوا فيها الخلط والتضليل، لكن بأيدٍ عربية تملك آلة التمحيص والتوضيح بالأدلة .
- يجب النظر بموضوعية في آثار الاستشراق، دون في الوقوع في أحد طرفي التأييد أو الرفض.
- يجب التفريق بين أنواع الاستشراق في مقام الإحصاء الإيجابي والسلبي للإرث العلمي لظاهرة الاستشراق.

Summary

This paper deals with the phenomenon of Orientalism, motives and philosophy, and the fallout from it, especially in Arab literature.

This research has tried to deal with Orientalism, from certain angles, in order to detect the phenomenon of Orientalism and its relationship with the Arab literature in particular, without other Arab and Islamic sciences, which was the focus of attention and action on the variation Aisracan nationalities and walks of life

The themes addressed by the research are as follows:

- Orientalism ... the reasons and motives.
- Lesson linguistic and literary lesson in perspective Orientalists.
- Why Arab literature in the Orientalist orientation.
- Orientalism contemporary Arabic literature between contraction and selectivity.
- Orientalism and its impact on Arab literature

Then the findings and recommendations and the conclusion ... In the end, research sources and Review.

It reached the following search results:

1- Lesson Orientalist directed towards the Arab language studies, for several motives, varied in strength, and progress of interests, but it was the most important scientific and cultural motivation.

2- Behind Orientalist trend negative effects positive and the other on the general Islamic civilization and science, and the linguistic and literary Arabic studies in particular.

3- Arab literary lesson received particular attention Orientalists; because it is the most important factor to understand the Arab mentality, giving a picture of the lives of Arab and Islamic in all its dimensions.

4- Orientalism was able to reap the fruits of our heritage mellow, we have not been able to Nqarabh it, and it left us a bad effect on that heritage.

5- shrinking Orientalist work in modern literature to several factors, and characterized the new selectivity of its work, and away from what is required by scientific fact.

6- Leave Orientalism Arabs sons, thinking his mind, and spirited approach, and Ihtdhun impact, and that was a reason for the absence of substantive consideration in the assessment of production.

In the end, research offers some recommendations, of which the most important are:

Recommendations:

- Pat was necessary to investigate and see the Orientalist balance of study and analysis and tracking to take advantage of those, especially in the lesson Aalodbe experience.
- It became incumbent on us address the negative aspects of Orientalism, and the restoration of Arab cultural balance, leaving him of loosening at the hands of the Orientalists, and clarify the issues that had caused the confusion and misinformation, but Arab hands have the scrutiny and clarification of evidence machine.
- It must be considered objectively the effects of Orientalism, without falling into the one end of the support or rejection.
- You must differentiate between the types of Orientalism in place of positive and negative statistics for the scientific legacy of the phenomenon of Orientalism.

المقدمة:

كان العرب قبل الإسلام أمة فقيرة متناثرة، تعيش على هامش الحياة، لا تمتلك مقومات البقاء والتأثير، وتفتقر افتقارًا كبيرا في النواحي العلمية والحضارية، في الوقت الذي كانت تعيش فيه بعض الأمم نهضة حضارية، تمثلت في القوى العسكرية، والنهضة العلمية.

وكان من المفترض أن تسير الأمة العربية هذا السير الضعيف نحو النهاية، لا عمل لها ولا تأثير ولا تأثر.

لكن الذي حدث، أمرٌ قلب الموازين، وغير الوجهة العربية، ونفخ الروح في الجسد الحضاري الميت للعرب فقامت نهضة عربية في كل مناحي الحياة أذهلت العالم من حولها.

وكان سرُّ الحياة الذي بعثها هذا البعث هو الإسلام ..الدين الجديد الذي خرجت به من الظلمات الحالكة التي أطبقت عليها من كل ناحية، ولم تكن تلك الظلمات في العقيدة وحسب، بل كانت ظلمات حالكة مطبقة في العقيدة والعلم والاجتماع، لكن هذه الظلمات سرعان ما تبددت بنور الإسلام، الذي أضاء للعرب والعالم من حولهم طريق العقيدة الصحيحة والحضارة الباهرة.

ولم تصبح مجرد حضارة منافسة للحضارات السابقة لها، بل أصبحت حضارة مسيطرة على

الحضارات الأخرى، مؤثرة فيها، وتفوقت عليها في مجالات التحضر الإنساني، وبلغت الغاية من الكمال العلمي والأدبي والعسكري .

وكان هذا الميلاد الجديد للأمة العربية إيذانا بتقلد العرب لزمام التقدم والحضارة، وقيادة العالم دينيا وعلميا وعسكريا .

وفي الوقت الذي كان العالم يغط في سبات عظيم، مغمورا في التخلف والجهالات، كانت الحضارة العربية قد بلغت أوجها، وخطت خطوات واسعة، غير مسبوقة في طريق التفوق العلمي بكل معانيه .

وكان لهذا التحول المفاجئ والسريع، أثر بالغ، يبعث على التعجب والبحث، عن الأسباب المؤدية إلى تحول يقلب الموزين رأسًا على عقب، بحيث يصبح التابع متبوعا، والمتبوع تابعا، وينقل المدنية إلى أماكن وأشخاص غير متوقَّعين، وهم العرب وجزيرتهم.

ومنذ ذلك الحين دأبت الأمم – لا سيما الغربية – في البحث والتقصي عن أسباب التحول الحضاري، الذي أخذت به العرب فنقلها تلك النقلة، ودفعها تلك الدفعة التي بلغت بها ذُرى الحضارة.

وكان ذلك الحين أيضا ميلادَ الاهتمام بالنتاج الحضاري العربي من جهة الغرب، الذي تمثل بعد في صورة الاستشراق.

ولقد شكَّل الشرق موضوع اهتمام بالنسبة للغربيين عبر عصور طويلة متلاحقة ؛فأنتج مدارسه وتياراته ومنظوماته المعرفية ومناهجه ونصوصه، ويعود هذا الاهتمام إلى أسباب علمية وأسباب استعمارية، وهو ما جعل الفكر العربي يتناوله بالدراسة والتحليل فيرى فيه أحيانا نعمة على العرب والمسلمين، وتارة أخرى تقويضًا للأسس، وهدما للبنية الفكرية، في شكل خطاب علمي محايد وموضوعي، وفي أحايين قليلة في شكل هجوم مكشوف ؛ فتباينت المواقف، وتعددت القراءات والتأويلات.(١)

و "الاستشراق " في اللغة العربية هو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، على وزن استفعال، واللفظة فيها معنى الطلب، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ...أما من جهة الاصطلاح: فهو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.(٢)

«إن الاستشراق بهذا المفهوم لا يتوقف عند الجانب الجغرافي المحض، لكنه يتجاوزه إلى الجوانب الأخرى، أي أنه يتناول المشرق كحقائق ومعارف، ولكن لماذا الاهتمام بالشرق؟ إن الذي جعل الغرب يهتم بالشرق هو مدنية الإسلام، وهي«قضية لا تقبل المماحكة إذ ليس من أمة في أوربة سواء الألمان أو الفرنسيين أو الإنكليز أو الطليان إلخ إلا عندهم تأليف لا تحصى في

«مدنية الإسلام» فلو لم تكن للإسلام مدنية حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه، مبنية على كتابه وسننه، ما كان علماء أوربة حتى الذين عُرفوا منهم بالتحامل على الإسلام يكثرون من ذكر المدنية الإسلامية، ومن سرد تواريخها، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات، ومن تبيين الخصائص التي انفردت بها «أي أن اختلافها عن الغرب هو ما جعل المستشرقين يهتمون بها».(٣)

لكن سؤالا الذي يفرض نفسه عن مدى استفادة العالم العربي والإسلامي من ظاهرة الاستشراق، وكذلك مقدار الخسائر التي أصابته جرَّاء هذا التوجه الغربي نحو علومه وتراثه .

انشغل كثيرون بتتبع جذور الاستشراق، والكشف عن ملابسات ميلاده تاريخا وموضعًا وحقيقة وأهدافا .

وسيحاول هذا البحث أن يتناول الاستشراق، من زوايا معينة، بهدف الكشف عن ظاهرة الاستشراق وعلاقتها بالأدب العربي على وجه الخصوص دون العلوم العربية والإسلامية الأخرى التي كانت محط اهتمام وعمل المستشراقين على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم .

والمحاور التي يتناولها البحث كما يلي :

- الاستشراق ...أسباب ودوافع .
- الدرس اللغوي والدرس الأدبي في منظور المستشرقين.
- لماذا الأدب العربي في التوجه الاستشراقي.
- الاستشراق والأدب العربي المعاصر بين التقلص والانتقائية .
- الاستشراق وأثره على الأدب العربي.

ثم النتائج والتوصيات والخاتمة ...وفي النهاية مصادر البحث ومراجعه.

الاستشراق ...أسباب ودوافع:

ويقصد بها منطلقات العمل الاستشراقي، أو الأسباب التي وجهت المستشرقين، نحو التراث العربي، وتناوله بالدراسة والتمحيص والتحقيق، والحديث عن دوافع الاستشراق يعطي قدرة على النظر التقييمي لأعماله، دون الوقوع في طرفي التقييم من القبول المطلق أو الرفض المطلق.

بذل الباحثون في شأن الاستشراق جهدًا بُغيةَ أن يقفوا على أسبابه، ودوافعه، لمعرفة حقيقته وأهدافه، فكانت هذه الأهداف – إجمالًا – تنحصر فيما يلي :

الدوافع الحضارية

فقد كانت الحروب الصليبية من أعنف صور الصراع الحضاري الذي دار بين الإسلام والغرب، فأدركوا من خلالها أن مكمن قوة المسلمين في دينهم، فتوجه الصراع الحضاري منذ ذلك

المدرَك إلى أصل حضارة المسلمين «فأخذوا يترجمون القرآن الكريم إلى لغاتهم، ويتعرفون على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ...ومع الزمن أصبحت لدراسة الحضارة الإسلامية وعلومها ولغاتها ..مراكز ومعاهد تجمَّع في مكتباتها أمهات الكتب والمخطوطات، وتفرَّغ لذلك الباحثون، وبذلت الأموال الطائلة في الإنفاق عليهم، حتى كثرت لديهم الدراسات والبحوث في كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية وأحوال أهلها»(٤)

الدوافع التنصيرية

ويجدر أن يذكر هنا العلاقة الوطيدة بين الاستشراق والتنصير، فهما صنوان، بل توأمان ملتصقان، يصعب التفريق بينهما في كثير من الأحيان، وبخاصة في بداية نشأتهما، فأول مؤسس لكرسي الاستشراق بجامعة أكسفورد هو رئيس الأساقفة، واسمه «لود»، كان ذلك في سنة «١٦٣٦».

وخلاصة القول في هذا الدافع أن دراسة العربية، والتمكن منها، يعدُّ أمرًا مهما لغايات التنصير، ولا يستطيع المنصرون أو من يشاركونهم من المستشرقين الاستغناء عنه، وبخاصة في مجال إثارة الاختلاف والشبهات الدينية»(٥)

ويتفرع عن هذا الدافع التشكيك في الثوابت الإسلامية، الكتاب والسنة، والتشكيك بقيمة الفقه الإسلامي، وقدرة اللغة العربية.

الدوافع اللاهوتية

يقول : «برنارد لويس» وهكذا كان القرن السابع عشر عصر تطور في تاريخ العلوم العربية في بلاد الإنكليز، ويرجع هذا الشغف بالدراسات العربية إلى عواملَ عدة، منها –ولاشك–العامل اللاهوتي المهم؛ إذ أدرك الناس في هذا الوقت ما هناك من صلة متينة بين العربية والعبرية، فرجوْا أن تؤدي دراسة العربية إلى إنارة كتاب العهد القديم من التوراة»

الدوافع العلمية والثقافية

ففي الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية، أوج التقدم والرقي، في شتى مناحي الحياة، كانت أوربا تغط في سباط من ظلمات الجهل المطبق .

ولما حدث الاحتكاك بينها وبين الأمة الإسلامية عبر الحروب الصليبية، وهالها ما رأت عليه الحضارة الإسلامية من القوة العلمية والثقافية، أدركت حينئذ فداحة ما هي عليه من التخلف والجهل ؛ فكان ذلك حافزًا لكي تأخذ بأخذ الأمة لتتقدم كتقدمها.

فتمثلت الخطوات الأولى للاستشراق في صورة طلاب العلم والمعرفة، الذين كانوا يتدفقون

على البلاد الإسلامية راغبين في حمل أسباب التقدم والهداية الفكرية إلى بلادهم ،وكان هذا بلا الشك النواة الأولى للاستشراق.

الهدف السياسي الاستغلالي التوسعي (الاستعماري)

لقد خدم الاستشراق الأهداف السياسية التوسعية للدول الغربية فقد سار المستشرقون في ركاب الاحتلال وهم كما أطلق عليهم الأستاذ محمود شاكر -رحمه الله- " حملة هموم الشمال المسيحي- فقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها. وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المحتل والمستشرق فقد كان كثير من موظفي الاحتلال على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً . وقد أصدر - على سبيل المثال- مستشرق بريطاني كتاباً من أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج: الجغرافي والتاريخي) وكان موظف الحكومات المحتلة لا يحصل على الوظيفة في إدارة الاحتلال ما لم يكن على دراية بالمنطقة التي سيعمل بها (٦).

الهدف الاقتصادي التجاري

عندما بدأت أوروبا نهضتها العلمية والصناعية والحضارية وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية مصانعها، كما أنهم أصبحوا بحاجة إلى أسواق تجارية لتصريف بضائعهم كان لا بد لهم أن يتعرفوا إلى البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية ويمكن أن تكون أسواقاً مفتوحة لمنتجاتهم . فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والآسيوية هي هذه البلاد فنشطوا في استكشافاتهم الجغرافية ودراساتهم الاجتماعية واللغوية والثقافية وغيرها. وهناك من يرى أن الهدف الاقتصادي كان هو الأساس في الاستشراق وقد استغل الدين والتنصير لتحقيق الأهداف الاقتصادية.

...ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف ما زال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية . فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي. ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية(لويد وبنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقارير اقتصادية ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي. ومن الطريف أن شركة الخطوط الهولندية تقدم لكبار موظفيها الذين يتفاوضون مع الشركات العربية الإسلامية دراسات من هذا النوع حتى يتعرفوا إلى العقليات التي يتفاوضون معها وإلى خلفياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية. (٧)

كل هذا وغيره من الدوافع والأسباب كان وراء اهتمام المستشرقين بالعلوم الإسلامية عموما،

واللغوية خصوصًا ،وفي الحقيقة لا نستطيع أن نفصل هذه الأسباب بعضها عن بعض، فهي متداخلة تداخلا دقيقة صعب الانفكاك .

الدرس اللغوي والدرس الأدبي في منظور المستشرقين :

حاول بعض العلماء إرجاع أسباب الاستشراق، إلى الاهتمام بالدرس اللغوي على وجه الخصوص، لكن هذا لا ينفي كون ذلك الاهتمام وسيلة إلى العلوم العربية الأخرى وعلى رأسها الأدب.

يقول د. إسماعيل أحمد عمايرة:

١– إن الدرس اللغوي عند العرب يأتي – كما قال :«تروبُّو» – في موقع متوسط «بينن النظام اليوناني في الغرب، والنظام الهندي في الشرق، فكان من الطبيعي أن يلفت المستشرقون أنظارهم إليه، ليدرسوا نشأته وتطوره» ولا شك في أن كثيرا منهم كانت تستهويه المقارنة بين المدارس اللغوية المتنوعة، فراح يبحث في العلاقة بين هذه المدارس، كاليونانية، والسريانية، والعربية، وعلاقة كل منها بالأخرى، على نحو ما عمل «ميركس» وغيره

٢– وأهم من ذلك أن الدراسات اللغوية عند العرب لها قيمة؛ فهي حلقة مهمة في سلسلة العلوم الإسلامية، وقد عدها «فايس» على درجة من الأهمية، لمن أراد أن يقوِّم الحضارة الإسلامية، بل ذهب المستشرق إلى أبعد من ذلك، فنوه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي بعامة، إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق .

٣– لقد كان النحو العربي في صورته التي وصلت إلينا عن النحاة القدامى، الوسيلة المهيأة لدرس اللغة العربية، وفي هذا يقول «ألبرت ديتريش» :« وكانت عدة المستشرق في تعلم نحو اللغة مجموعة من الكتب التي أخذت عن العرب طريقتهم، وخضعت في الوقت نفسه لمنهج الغرب في دراسة اللغة» ولذا ورد المستشرقون حوضه، وساروا على منهجه في تعلم العربية وتعليمها، ويأتي في مقدمة هذه الكتب كتاب «سوسين»، الذي استفاد فائدة كبرى من ألفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل .(٨)

أيًّا ما كان فإن الدراسة اللغوية العربية لدى المستشرقين، وتحليل ظواهرها وإرجاعها إلى أصول سامية – لا يمكن فصله عن الأهداف الأخرى، بل وإن كان مستقلا فهو في الحقيقة مكمل للأهداف الأخرى بصفة عامة، كما أنه اتصل اتصالا وثيقا بالأدب العربي، من حيثُ كونُه مادة الدراسة، كما أن الدراسة اللغوية استطاعت أن توجه الدراسات الأدبية.

«وإذا كان الاستشراق قد وهب كل حياته للتراث الشرقي بوجه عام، ووقف جل عنايته على التراث العربي الإسلامي بوجه خاص ، فإنه ركز معظم جهده على الأدب العربي القديم والحديث بوجه أخص»(٩)

كما أننا من خلال التعرف على الدوافع الاستشراقية، نستطيع اكتشاف فلسفته، المتمثلة في محاولة التعرف على مكامن قوة المسلمين والأسباب التي نقلتهم من أمة متفرقة فقيرة، تعيش على هامش الحياة إلى أمة ذات قوة وكِيان، استطاعت أن تبسط نفوذها ليس خارج الجزيرة العربية فحسب، بل على الدول الكبرى في ذلك الحين، وآمادًا متطاولة، ولم يكن النفوذ العربي المحير نفوذا عسكريا فقط،بل كان أيضا نفوذا علميا مبهرا، استطاع أن يوجه العقل والفكر الإنساني إلى آفاق بعيدة .

وكان السر في هذا التوجه العربي الغير معهود، هو ذلك الدين الجديد الذي دان به العرب، فنقلهم تلك النقلة، وكانت الوسيلة للتعرف على هذا وأبعاد تأثيره هو النتاج اللغوي بالمعنى العام، كما كان الأدب أقوى الوثائق لاكتشاف الطبيعة العربية قبل وبعد الإسلام ؛ لأنه الحامل للفكر والبيئة والفلسفة، والجوانب الاجتماعية، والسياسية .

ولم تكن تلك الفلسفة الاستشراقية تبغي المحاكاة أو الاستفادة من التجربة العربية، إنما كانت تنوي مع ذلك معرفة مكامن القوة والضعف ؛ ليتيسر لها المواجهة والسيطرة على العرب ...وقد كان .

لماذا الأدب العربي في التوجه الاستشراقي

وإن كان الدكتور عمايرة ينظر إلى الاستشراق من زواية الاهتمام باللغة، فإننا نستطيع القول بأن الاهتمام الخاص لا يمكن فصله عن الأدب العربي، كما أنه ألقى بظلاله على الدرس الأدبي بلا شك، من ناحية المادة اللغوية والتحليل ولاستقراء وتعليل الظواهر.

وإلا فقد كان اهتمام الاستشراق الأكبر بالأدب العربي، بحيث يكمننا القول بأنه الأصل في الدرس الاستشراقي المتعلق باللغة، وغيره من علوم اللغة كوضع المعاجم والتحقيق، كان موجَّهًا للأدب ؛إذ نال قسطا كبيرا من اهتمام المستشرقين – لا سيما في الماضي – يقول الدكتور أحمد سمايلوفتش – موضحا اهتمام الاستشراق بالأدب العربي : «ومع ذلك فإن اهتمامه بالأدب العربي قد فاق كل عناياته الأخرى ؛ لأن أعظم مآثر أصحابه قد أفرغت في اللغة التي ظلت باستمرار ملتصقة بالشعب وتاريخه ... ويبدو جليا للمتعقب أن العقلية العربية قد وجدت في فن القول وأحكامه أهم وسائل النجاح والتأثير ؛ مما جعل اهتمام الاستشراق بدراسة آدابها أمرًا حتميًّا ؛ لفهم حياتها ونشاطها ؛ إذ أن الأدب العربي يقدم إلينا من وجهة النظر التاريخية أيضا حقلا خصبا إلى حد بعيد لدراسة الحياة العربية والنظم العربية».(١٠)

ويرجع الدكتور أحمد سمايلوفتش اهتمام الاستشراق بالأدب العربي لما يلي :

أولًا : صلة هذا الأدب بالإسلام وكتابة القرآن الكريم .

ثانيا : أهميته لدراسة الشخصية العربية وفهمها .

ثالثا : أثره في آداب مختلفة ومنها الآداب الأوربية .

رابعا : منزلته بين الآداب العالمية واستمرار تاريخه.

خامسا : اهتمام النزعتين الرومانتيكية والإنسانية معا بالآداب الأخرى، ومن بينها الأدب العربي. (١١)

ولقد بلغ الدرس الأدبي غاية سامية في دراسات المستشرقين، ويظهر ذلك من خلال الجوانب التي بحثها المستشرقون، فقد اهتموا " بكل ما يتعلق به، حيث درس تاريخه، وتطوره وقيمته وأصالته، وعصوره ونهضته وتأخره وازدهاره، وانحطاطه وانتحاله، وسرقاته، وتأثره وتأثيره، وأعلامه وشعراءه وكتابه، وقد كانت عنايته به أكثر وأشد شغفا وأوسع انتشارًا، وأصعب دراسة ؛ لأنها محاولة لفهم الشخصية العربية، والإحاطة بها من كل جوانبها، مما يدل على أهمية دراسته للفكر العربي عامة، والأدب العربي خاصة».(١٢)

الاستشراق والأدب العربي المعاصر بين التقلص والانتقائية :

ومما تجدر الإشارة إليه أن اهتمام الاستشراق بالأدب الحديث قد تراجع وتلقص بشكل ملحوظ، واتسمت دراساته الضئيلة الحالية بالانتقائية والتحيز، حاول بعض العلماء أن يستكشف الأسباب الحقيقية وراء هذا التراجع، فأرجعها إلى الأسباب الآتية :

أولا : أن بحوثه في هذا الميدان بحوث حديثة العهد فعلا .

ثانيا : أن بحوثه فيه لم تتبلور بعد فكريا و منهجيا أو فلسفيا .

ثالثا : أن بحوثه الحديثة منصبة في أغلبها على النواحي السياسية والعقائدية والدينية ومشاكلها .

رابعا : عدم وجود هيئة تتبع بحوثه التي تتعلق بالاتجاهات الحديث في العالم العربي الإسلامي.

خامسا : أن الأدب العربي الحديث لم يفرض نفسه بعد على هيئات العلم العالمية، وإن خطا خطوات جبارة نحو ذلك .

سادسا : أن العدوان الاستعماري لم يزل مستمرا وخاصة في ميادين الفكر والثقافة والأدب.

سابعا : أن مراكز الاستشراق العلمية نفسها تحول دون تعريف طلابها بإنتاج الأدب العربي الحديث . إذ تفرض عليهم فرضا البحث في الأدب القديم وروائعه .(١٣)

لكن كثيرا من هذا الأسباب أضحت غير عاملة ؛ لانتشار مراكز استشراقية في بلدان متعددة تنفتح على بعض الإنتاج العربي المعاصر وتتناوله بالدراسة، لكنها دراسة قائمة على الانتقاء والتحيز، وخادمة لإهداف غير علمية .

يرى عاصم حمدان أن تلقص الاهتمام الاستشراقي بالأدب المعاصر راجع إلى " " أن نقطة الضعف التي يجدها الغرب – اليوم – في أدبنا، هي ترديدنا لبعض نظرياته في الأدب بعد لفظه لها بعشرات السنين ثم هو ترديد لا استيعاب ولا تمثل فيه.." (١٤)

ومن الممكن أن نضيف إلى ما سبق أسبابا أخرى تتمثل في :

- كون الاستشراق قد انتهى أهدافه الكبرى، ومن عمليات البحث والدراسة في التراث العربي .
- أن العقلية العربية المعاصرة لم تعد عربية خالصة كما كانت في الماضي، فهي في كثير من إنتاجها عاكسة للفكر والرؤية الأوربية بطريق مباشر وغير مباشر .
- تحقق الأهداف الاستعمارية والتنصرية على مستوياتها، مما أدى إلى انخفاض الدافع من وراء الدراسات الاستشراقية .
- تحقق التأثير العلمي والثقافي الأوربي في الأمة العربية والإسلامية، بما يدفع الجهود إلى وجهات أخرى غير الأدب العربي .
- الانشغال بدراسة الحركات الإسلامية في العالم العربي، للوقوف على أفكارها وأهدافها والقضاء عليها .
- الانشغال بالترويج للأفكار الأوربية كالديمقراطية والعالمانية في الوطن العربي.

الاستشراق وأثره على الأدب العربي

حاول كثير من العلماء والأدباء والمصلحون تقييم الظاهرة الاستشراقية وإنتاجها ؛ فانقسم العلماء تجاه ذلك إلى فريقين .

فريق يرى الاستشراق وبالا على الأمة وعلومها، وأن ما عاد على الأمة من بعض الفوائد لا يضاهي من انجر عليها من فساد في الحياة العلمية والفكرية والدينية، زاد في تأخرها، وسيطرة الغرب عليها .

والفريق الآخر يغالي ويتطرف في الإشادة بفضل العمل الاستشراقي، ويرى أن ما عاد على الأمة من فوائد ومنافع، يتضاءل أمامه أي ضرر .

وفي الحقيقة أن كلا الفريقين ينظر من زاوية واحدة، وأن الرؤية الصحيحة هي الرؤية من جميع الزوايا، فهي الرؤية التي يقع عليها التقييم الصحيح .

وهذا هو موقف الإنصاف والموضوعية العلمية، ومن خلاله، نستطيع الوقوف على الظاهرة الاستشراق ،سلبياتِها وإيجابياتها .

الآثار الإيجابية والسلبية للاستشراق في اللغة العربية

قدم المستشرقون جهودا غير مسبوقة ، نحو العلوم العربية على تعددها وتنوعها، ولم يتركوا مجالا علميا خاصا بالعرب إلا وتناوله بالبحث والتمحيص، حتى المجال الديني وعلومه من الحديث والتفسير والفرق الإسلامية .

ولقد قدموا للعلم نتائج تحتسب لهم، نستطيع أن نطلق عليها الآثار الإيجابية للاستشراق، لكنهم في الوقت ذاته أخفقوا إخفاقات علمية كبيرة، نستطيع أن نطلق عليها الآثار السلبية للاستشراق، وهذا الأخطاء أو السلبيات اتخذت صورا متعددة، وكان لها كذلك نتائج وخيمة على الأمة العربية والإسلامية ألحقت أضرارًا فادحة على مرِّ العصور .

«فلقد قام عدد من علماء العرب وأدبائهم بنقد هذه الآثار وتحليلها؛ فمن القدماء نستطيع أن نذكر على سبيل المثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسيد قطب الذين ذكروا مضرّات الاستشراق، وطلبوا من مثقفي الأمة الإسلامية أن ينتبهوا لدسائس الاستعمار الخفية من أجل بسط سيطرته من طريق التعرّف على علوم الشرق ومعرفة بلادهم، إلى أن يحتلوها ويستولوا على عقليات شعوبها لضمان استعبادها.

ونشر محمد عبده ردوده لأفكار «رينان» وغيره من الفلاسفة الفرنسيين، كما نجد في كتابات سيد قطب ردوداً على الاستشراق. ؛ وفي المقابل هناك فئة من المثقفين والأدباء العرب الذين لهم نظرة إيجابية لتأثير الاستشراق ــ وهم ليسوا بقلة ــ من الكتّاب والباحثين القدماء والجُدد أمثال جرجي زيدان والدكتور عبدالرحمن بدوي وجودت الركابي مؤلف كتاب الأدب العربي من الانحدار إلى الإزدهار. فالركابي يذكر في كتابه عدة آثار إيجابية للاستشراق؛ منها:

- نشرهم مئات الكتب والمخطوطات الثمينة التي أتاحت لنا الاطلاع على تراث أسلافنا الخصيب .
- إدخالهم المعايير الأدبية الأروبية والمقاييس العصرية الصحيحة عند دراستهم لثقافتنا وأدبنا.
- اكتشافاتهم الحجرية وحلُّهم للكتابات الأثرية التي ساعدت على تصحيح بعض الروايات التاريخية والأحكام الأدبية وغير الأدبية . (١٥)
- ومن الآثار الإيجابية للاستشراق كذلك، أنه ساعد على إذكاء الحركة العلمية والإثراء؛ فاهتمام المستشرقين بالعلوم العربية، والأدب العربي على وجه الخصوص، كان بمثابة

بعث جديد لها من بطون الكتب والمكتبات، ثم تناولها بالبحث والتدقيق – وإن كان فيه أخطاء ومجازفات – كان بمثابة إعادة تخليق مرة أخرى، لهذه الموروثات، ويضاف إلى ذلك، ما ترتب على آراء المستشرقين وأحكامهم، من ردود من لدن العلماء المسلمين والعرب .

ولا تزال نتائج البحث العلمي للاستشراق وأحكامه محط اهتمام، وأخذ وردٍّ، وتمحيص وتحليل، ولا يخفى أن ذلك تنشيط علمي وإثراء ما كان ليكون، لولا العمل الاستشراقي.

«ومن الآثار الإيجابية لظاهرة الاستشراق التعريف بالمخطوطات الثمينة، ونشرها وطبعها بطريقة علمية، وبسط نطاق اللغة العربية في كل أنحاء العالم، بحيث إننا اليوم لا نجد لغةً في العالم إلا وقد تُرجم الكثير من معارف العلوم العربية والدين المبين الإسلامي إليها؛ لأن لكل شيء طريقًا للتعرف عليه، وبالتأكيد طريق التعرف على الإسلام هو معرفة اللغة العربية. يقول الكاتب جرجي زيدان في كتابه تاريخ اللغة العربية وآدابها:

من العوامل الرئيسية في إحياء اللغة العربية في هذه النهضة، إشتراك الإفرنج في تحقيق آثارها، ونشر هذه الآثار والتنقيب عن تلك الكتب والآثار في مظانّها. وليس اهتمام الإفرنج بالآداب العربية حديثاً؛ فإنه يرجع إلى الأجيال الوسطى قبل نهضتهم الأخيرة لإنشاء تمدنهم الحديث. ويقسّم عملهم في هذا السبيل إلى دورين: الأول. اشتغالهم بنقل العلوم الطبيعية والرياضية في أول نهضتهم؛ والثاني. اشتغالهم باللغات الشرقية و آدابها»(١٦)

وهناك آثار إيجابية أخرى للاستشراق، يذكرها الدكتور عبد المنعم الخفاجي، تتمثل في :

- إعداد دراسات عن الحضارة القديمة .
- تجميع المخطوطات العربية بالمكتبات الأروبية .
- وضع فهارس المخطوطات
- نشر كثير من الكتب النفيسة وترجمة البعض منها إلى اللغات الاروبية.
- إعطاء دروس في المنهجية لعلماء الشرقيين .
- تنظيم مؤتمرات عن الاستشراق ظز
- كتابة دراسات في موضوعات شتى، وهي ولو كانت مغلوطة من حيث الفهم اللغوي والتأويلات الدينية إلا أنها قوية بمنهجها
- الإسهام في خلق وَعي قومي بمختلف أقطار الشرق وتنشيط النهضة العلمية.

يميز الدكتور عبدالمنعم الخفاجي الاستشراق السياسي والاستعماري من الاستشراق الذي جاء إلى بلاد الشرق بأهداف علمية، وخلّف الكثير من الآثار الثمينة في شتى المجالات؛ منها

اللغوية والأدبية والدينية، وربما هي التي صارت باعثاً لحركة جديدة للباحثين العرب، و هو الفحص الدقيق في المخطوطات النفيسة والتراث الأدبي والعلمي والديني القيّم عندهم.

ويذكر في المصدر نفسه: أن «الاستشراق الذي له اتجاه استعماري، وهذا الاتجاه يمثّله خليط من الجامعيين ورجال الأعمال والمبشرين والمغامرين والعسكريين، وكان هدفهم الأول احتلال بلاد الشرق واستعمارها. وهذا الاتجاه كان له مفهوم عام يصدر عنه في رؤيته للشرق، وهو مفهوم يؤمن بالعنصرية، و بانحطاط السلالة السامية، ويعتقد بوجود جوهر تاريخي لكل أمّة لا يمكن لكائن أن يغيّره». (١٧)

ولا شك أن ما تركه الاستشراق من مثل هذه الأعمال يعدُّ قيمة علمية، لا يمكن إغفالها، على الرغم مما أخذ عليه فيها مؤاخذات، لكن هذه الآثار لا ينبغي أن لا تُوقعنا في غفلة عما خلَّفه من آثار سيئة، كان نتائج وخيمة على الأمة العربية والإسلامية في شتى المجالات.

الآثار السلبية لظاهرة الاستشراق في اللغة العربية:

على الرغم مما مرَّ بنا آنفا، من نتائج إيجابية للعمل الاستشراقي في العلوم العربية، إلا أنه كان له – بالقدر نفسه أو يفوق – آثار سيئة وسلبية، على العلوم الإسلامية والعربية، لا يزال وباؤها منتشرا، وينبعث حينا بعد حين، لاسيما وأن تلامذة المستشرقين والسالكين سبيلهم الفكري، ما زالوا يرون في مصادر هذه الآثار – سواء أكانت أحكاما أو آراء مغلوطة – ما زلوا يرونها معينا، يستمدون منه، ويسيرون عليها، ويحاولون نشره في الأمة الإسلامية والعربية . وهذا على كل المستويات اللغوية والدينية والفكرية

ومن هذه الآثار السلبية على الأدب العربي :

الطعن في صحة الأدب العربي والتشكيك فيه :

وكان هذا الأثرُ الوليدُ الاستشراق، والمترعرعُ في كنفه، إحدى الكوارث الكُبَر، ولا سيما وأنه يهدم النتاج الأدبي للعرب قبل الإسلام وبعده، ويرميه بالزيف والبطلان، إنهم أرادوا أن يهدموا تلك حقيقة التي هي من الوضوح بمكان، كمكان الشمس من السماء.

«وأول موقف عِدائي ظهر على لسان هؤلاء هو التشكيك في مصادر الأدب العربي كالشعر الجاهلي و الشعراء الجاهليين. فهم أنكروا أن للشعر الجاهلي في تاريخ الأدب العربي حقبة خاصة من الزمن ــ وقد تكون تقريباً بمائة سنة قبل ظهور الإسلام ــ وقالوا إن القصائد المسمّاة بالمعلقات لم تكن صادرة من شعراء قبل ظهور الإسلام مثل امرئ القيس أو شاعر آخر من أصحاب المعلقات كما نعرفهم، بل هو من أشعار الرواة أنفسهم، وعلى رأسهم حمّاد الراوية وخلف الأحمر؛ فإنهم

كانوا يصنعون الشعر وينسبونه إلى رجال في الجاهلية وصدر الإسلام، أو كانوا ينحلون شعر الرجل غيره، أو ينحلون الرجل غير شعره، ويزيدون في الأشعار من عندهم.

ومن المستشرقين الذين طرحوا هذه الفكرة، وحاولوا أن يثبتوها وينقلوها إلى علماء العرب وأدبائهم يمكن أن نذكر مرجليوث ونولدكه و تشارز ليال و جولدتسيهر وغيرهم؛ فإنهم خلّفوا ورائهم آثاراً كثيرة في هذا المجال . (١٨)

وما كان لمثل هذه الفكرة أن تعيش أو تتناول، أويكون لها آثارها السيئة على الأمة العربية — لولا أن تلقفها أديب مثل «طه حسين» ويتبناها ويدافع عنها .

وهاهو محمود شاكر الذي عايش ميلاد هذه الكارثة وما أحدثته من هِزَّة عنيفة في نفوس الأجيال المتلاحقة.وما أثارته من غبار على التراث الأدبي العربي نثرِه وشعرِه ،يسجل ما أدته من « إعراض الناشئة من الشعراء والنقاد عن الشعر القديم كلِّه، ثم نظرهم إليه نظرة استخفافٍ وازدراءٍ واستهانة، ثم ما أعقب ذلك من زوال كل اهتمام بدراسة هذا الشعر القديم، وبإعادة النظرِ فيما قيل فيه، ثم كان ما هو أخطر من ذلك، وهوو زوالُه من برامج التعليم الابتدائي والثانوي زوالًا تامًّا، إلا بقية قليلة تُعرض إبراءً للذمَّة، مع فساد البيان عن هذا القليل المزدَرى»(١٩)

فهذا ما خلفته هذه القضية على الأمة، وعلى تراثها الأدبي، ولم يكن وقتٌ طويلٍ لتبدوَ، هذه الآثار، بل ظهرت آثارها ظهورًا سريعًا ؛ ليشهد مَنْ نفخَ فيها الروح والداعي إليها ما خلَّفته من عواقب وخيمة .

« لم تكد تمضي عشر سنوات على ظهور كتاب «في الشعر الجاهلي» أي في سنة ١٩٣٥ حتى أدرك «طه حسين» إدراكًا واضحًا جدًّا أن اللسان العربي قد صار في محنة، لا في نفسه، بل في هذه الأعداد الهائلة من المثقفين الذين رفضوا الأدب العربي كله، ورفضوا القديم كله شعرَه ونثرَه، لا في مصر وحدها، بل في كثير من البلاد العربية، وأن عددهم تكاثر كلما تقدمت الأيام، فأخذ يعبر عن ذلك بألفاظ محزنة باكية، وحاول أن يتألَّف هؤلاء النافرين ويردَّهم إلى الطريق القديم [1](٢)،

---

(١) أ- يقول شاكر : ومعنى ذلك أن «طه حسين» في تلك السنوات، قد فزِع فزعًا شديدًا لانصراف الناس عنه وعن عربيته التي كان يحبها، وعن لغته التي يحرص على سلامتها، وعن بيانها الذي يعتز به، ومعنى ذلك أيضًا أن الدكتور «طه حسين» في سنة ١٩٣٥، علِم علِم اليقين أن الذي أثاره بألفاظه المفزعة سنة ١٩٢٥، قد خرب البنيان الذي كان يظن يومئذ أنه سوف يبنيه بعد أعوام قلائل ... أدرك «طه حسين» أن الذي قاله في سنة ١٩٢٥ مفض إلى ضعف اللغة العربية «انظر مقال» كانت الجامعة هي طه حسين"/نُشر عام ١٩٧٥م بمجلة «لكاتب» العدد ١٦٨

ب- « ومع ذلك، فقد حاول الدكتور من يناير ١٩٣٥إلى ٢٢مايو ١٩٣٥، أن يردَّ هؤلاء الذين كرهوا الأدب القديم أشدَّ الكره، كما قال، فجعل يكفكف من غُلوائهم، ويُظهرهم في مقالاته على روائع «الشعر الجاهلي». من شاعر بعد شاعر، وبذل من الجهد ما بذل، ولكن ذهب كلُّ هذا هباءً وهدرًا . لقد أفلت الزمام . انظر «نمط صعب، ونمط مخيف» صـ٣٧٨

ج- ويقول أيضًا : «ولعل الدكتور طه، أو هكذا ينبغي أن أتكلم : لعل الدكتور طه، حين ألقى محاضراته ونشرها كتابًا يتداوله الناسُ، كان مريدًا أن يستحثَّ همَمَ الشباب إلى بعث الآداب قديمها وحديثها، مهما كان فيما أتى من الشذوذ على ما=

وإلى أدبهم القديم «لكي يظل قوامًا للثقافة، وغذاء للعقول، لأنه أساس الثقافة العربية . فهو إذن مقوم لشخصيتنا محقق لقوميتنا، عاصم " لنا من الفناء في الأجنبي ، معين لنا على أن نعرف أنفسنا»(٢٠)

الطعن في أصالة النحو العربي والتشكيك فيه :

طالت يد التشكيك كذلك النحو العربي، كما طالت الأدب العربي، فقد زعم المستشرقون، أن النظام النحوي العربي متأثر بالنظام اليوناني في وضعه، وأن علماء العرب الأوائل الذين قعدوا القواعد العربية كانوا متأثرين بسابقيهم من علماء اليونان، وأنهم لم يكونوا في ذلك مبتكرين، بل كانوا مقلدين متبعين .

ولا يخفى ما في هذا الادعاء من هضم لأعمال النحويين العرب، وإهدار لجهودهم، وتقليل للعقلية العربية وبراعتها .

«ومن جملة هؤلاء المستشرقين الذين طوّروا هذه الفكرة ووسعوها هم : إرنست رينان، ميركس وهرفمان و وِرستِك .

أما تُروبو ــ المستشرق الهولندي ــ فهو الذي ردّ هذه النظرية، واستند على أدلة تاريخية؛ منها:

أولاً . إن حركة الترجمة بدأت في العصر العباسي الثاني، وعلم النحو كان قد بدأ قبل سنين؛ و ثانياً: علماء علم النحو كانوا على صلة دائمة مع الفقهاء، ولهذا نجد أكثر المصطلحات الفقهية موجودة في النحو؛ مثل : بدل، عرض، نية، حجّة، حسَن، قبيح و غيرها (٢١)

التشكيك في قدرة اللغة العربية على تعاملها مع العلوم الحديثة:

لم ينحصر هجوم المستشرقين على اللغة العربية من خلال إثارة الشبهات حول أصالتها في التاريخ القديم والعصور العربية المختلفة، بل استمر ليطال العربية الحديثة، حيث اتهموه بأنها لغة عاجزة عن الوفاء بمتطلبات العصر الحديث، وغير قادرة على مُواكبة التقدّم العلمي والتكنولوجي.

= توارثه الناس، ومن الغرابة على عما أُلِفوا ولهِجوا بترديده . لعله كان يرجو ذلك، ولكنَّ رجاءه ضاع أيضًا فيما ضاع " انظر «نمط صعب، ونمط مخيف» صـ٣٧٦

د-" لقد لقي طه حسين يومئذ ما لقي، ونُسب إليه ما أقطع بأنه برئ منه، والدليل على براءته عندي هو أنه منذ عرَفته في سنة ١٩٢٤، إلى أن تُوفي ٢٨ / أكتوبر ١٩٧٣، كان كما وصفته في أول حديثي، محبا للسانه العربي أشدَّ الحب، حريصًا على سلامتها أشدَّ الحرص، متذوقا لروائعه أحسنَ التذوق، فهو لم يكن يريد قط باللسان العربي شرًّا، بل كان من أكبر المدافعين عنه، المنافحين عن تراثه كله إلى آخر حياته . ومحال أن يحشر في مَن هذه خصاله في زمرة الخبثاء ذوي الأحقاد من ضِعاف العقول والنفوس، الذين ظهروا في الحياة العربية لذلك العهد " انظر كانت الجامعة هي طه حسين "/نُشر عام ١٩٧٥م بمجلة "الكاتب" العدد ١٦٨

ووصل الأمر ببعضهم إلى اعتبار اللغة العربية بأنها لغةً ميتةً، مثلُها مثل اللغة اللاتينية بالنسبة للغات الأروبية الحديثة.

ومن أدباء العرب المعاصرين الذين أيّدوا هذه الفكرة ودعموها صادق جلال العظم مؤلف كتاب نقد الفكر الديني، وعبدالعزيز فهمي الذي دعا إلى أن تحلّ الأحرف اللاتينية محلَّ الحروف العربية. ومعنى هذا قطع صلة العرب بجميع كتبهم المكتوبة بالحروف العربية. (٢٢)

لكن هذا الهجوم باء بالفشل إذ تصدى له عدد هائل من الغيورين على اللغة العربية والتراث، فاستطاعوا أن يخمدوا هذه الدعوات، ومن هؤلاء محمود محمد شاكر، ومحمد محمد حسين وغيرهم

فقد عدد هائل من المخطوطات العربية

فعلى الرغم مما قدمه الاستشراق للأدب العربي من مخطوطات كانت مغمورة، وغائبة عن العلم وطلابه، إلا أنه أيضا، قد تسبب في فقد الكثير من كتب التراث وضياعها، في أثناء نقلها إلى معاهد الاستشراق في بلاد الغرب .

ولا شك أن ضياع تلك المخطوطات القيمة، هو أحد وأخطر سلبيات الاستشراق ؛ فإنها كنوز للعلم لا يمكن أن يُعتاض عنها .

وأيضا يضاف إلى ذلك استحواذ الغرب بكثير من المخطوطات العربية التي لا مثيل لها في بلاد العرب أنفسهم، ولا سبيل للوصول إليها إلا بالاستعارة المشروطة، وفي بلاد العرب أنفسهم، وكأنها أصبحت حقا مكتسبا لهم، وهذا بلا شك نوع من الضياع والفقد لكنوز التراث العربي.

النتائج:

١– توجه الدرس الاستشراقي نحو الدراسات اللغوية العربية، لعدة دوافع ،تفاوتت في قوتها، وما تحققه من مصالح ،لكن كان أهمها الدافع العلمي الثقافي.
٢– خلف الاتجاه الاستشراقي آثارا سلبية وأخرى إيجابية على علوم الحضارة الإسلامية عامة، وعلى الدراسات اللغوية والأدبية العربية بصفة خاصة.
٣– نال الدرس الأدبي العربي على وجه الخصوص اهتمام المستشرقين ؛ لأنه أهم العوامل لفهم العقلية العربية، وإعطاء صورة للحياة العربية والإسلامية بكل أبعادها .
٤– استطاع الاستشراق أن يجني من تراثنا يانع الثمار، لم نستطع نحن أن نقاربه فيه، كما أنه ترك لنا آثارًا سيئة على ذلك التراث.
٥– تقلص العمل الاستشراقي في الأدب الحديث لعدة عوامل، واتسمت أعماله الجديدة بالانتقائية، والبعد عن عما تقتضيه الحقيقة العلمية .

٦- ترك الاستشراق من العرب أبناء، يفكرون بعقله، وينتهجون منهجه، ويحتذون أثره، فكان ذلك سببا في غياب النظر الموضوعي في تقييم إنتاجه .

التوصيات :

- بات من الضروي التقصي والاطلاع على الرصيد الاستشراقي بالدراسة والتحليل والتتبع للاستفادة من تلك التجربة خصوصا في الدرس االأدبي .
- أصبح من الواجب علينا معالجة سلبيات الاستشراق، وترميم الرصيد الحضاري العربي مما أصابه من خلخلة على أيدي المستشرقين، وتوضيح القضايا التي أحدثوا فيها الخلط والتضليل، لكن بأيدٍ عربية تملك آلة التمحيص والتوضيح بالأدلة .
- يجب النظر بموضوعية في آثار الاستشراق، دون في الوقوع في أحد طرفي التأييد أو الرفض.
- يجب التفريق بين أنواع الاستشراق في مقام الإحصاء الإيجابي والسلبي للإرث العلمي لظاهرة الاستشراق.

الخاتمة

لم تكن فكرة الاستشراق فكرة سطحية متسمة بالعشوائية والفردية، بل كان توجها له مبادئه وأصوله ودوافعه، وكانت له مؤسسات مدعومة من أصحاب النفوذ والقوة في البلاد الغربية.

ولقد ظل يعمل بقوة ونهم في المورث العربية، ليصل إلى ما وصلت إليه العقلية العربية، من الحضارة والأخذ بأسبابها .

كما أنه لم يخلُ عن نيات سئية تجاه التراث العرب، تمثلت في التشكيك والطعن في الثوابت دفعت إليه روح الانتقام .

لكننا لا نستطيع أن ننكر أن هذا العمل الدائب للاستشراق لم يكن له فوائد على النتاج العلمي العربي لا سيما الأدبي .

لكن النظر الصحيح والحيطة والحذر يوجب علينا إعادة فحص هذا الركام العملي الذي خلفه الاستشراق، لأخذ النافع لنا والاستفادة منه ورد الضار السيئ مع التحذير منه .

وعلى أي الأحوال، فإن ظاهرة الاستشراق على الرغم من دوافعها المشبوهة الكثيرة – فإن ظاهرة تستحق إعادة النظر مرة إخرة ومعالجة آثارها السلبية على العلوم العربية، لا سيما الأدب العربي.

المصادر

١– الاستشراق : اللغة من الوظيفة إلى التوظيف /أ.د حسين خمري / مجلة الدراسات اللغوية / جامعة منتوري ى العدد ٦

٢– دور المستشرقيين في اللغة العربية وآدابها /د حسن داده، فاطمة سعدوني / مجلة جامعة أصفهان /العدد ٢

٣– الاستشراق : اللغة من الوظيفة إلى التوظيف /أ.د حسين خمري

٤– المصدر نفسه

٥– المصدر نفسه

٦– ج.ج. لويمر. دليل الخليج: القسم التاريخي، الجزء الأول .(قطر : الحكومة القطرية) بدون تاريخ ص ٦٠٩

٧– الاستشراق /د. مازن بن صلاح مطبقاني صـ١٢

٨– المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، دإسماعيل أحمد عمايرة / دار حنين

٩– فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر /د. أحمد سمايلوفيتش / دار الفكر العربي صـ١٨٦

١٠– المصدر نفسه صـ٩٠

١١– المصدر نفسه صـ٤٩٠

١٢– المصدر نفسه صـ١٨٥ /١٨٦

١٣– المصدر نفسه صـ٥٠٩

١٤– لماذا ومتى يهتم الأروبيون بتراثنا " في صحيفة المدينة المنورة (ملحق التراث) ١٤٠٨هـ

١٥– انظر دور المستشرقيين في اللغة العربية وآدابها /د حسن داده، فاطمة سعدوني / مجلة جامعة أصفهان /العدد ٢/ وانظر الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار جود ت الركابي / دار الفكر- دمشق ١٩٩٦م، ص ٣٠٢

١٦– تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان/ دار الفكر – بيروت ١٩٩٦م- (ج٣) ص١٥١

١٧– الأدب العربي الحديث ومدارسه / عبد المنعم الخفاجي /. بيروت: دار الجيل / ١٩٩٢م، صـ ٣٢٦، وانظر «دور المستشرقيين في اللغة العربية وآدابها /د حسن داده، فاطمة سعدوني / مجلة جامعة أصفهان /العدد ٢

١٨– دور المستشرقين في اللغة العربية و آدابها/ بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان /العدد ٢ (ربيع وصيف ١٤٣١ هـ. ق/ ١٣٨٩ هـ. ش)،

١٩– نمط صعب ونمط مخيف / محمود أحمد شاكر دار المدني، القاهرة / ط. الأولى ١٤٤١٦ هـ= ١٩٩٦م ص٣١٨

٢٠– جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر / جمع وتقديم د. عادل سليمان جمال / مكتبة الخانجي ط. الثالثة ٢٠١٣م ج ٢ص١٠٥٠ / من مقال بعنوان «كانت الجامعة هي طه حسين» /نُشر عام ١٩٧٥م بمجلة «الكاتب» العدد ١٦٨

وانظر كذلك رسالة دكتوراه بعنوان «الملامح النصية في منهج محمود شاكر» / للباحث محمد سعيد كامل – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

٢١– دور المستشرقين في اللغة العربية و آدابها/ بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان /العدد ٢ (ربيع وصيف ١٤٣١ هـ. ق / ١٣٨٩ هـ. ش)،

٢٢– المصدر نفسه